

# مدخل إلى الدراسة الصوتية عند العرب القدماء

مبارك حنون

---

\* عرض في الأسبوع الثقافي الذي نظمه المركز التربوي الجهوي بفاس في النصف الثاني من شهر إبريل 1984. وقد عملت منذ هذه السنة إلى غاية 1995 على التوسع في هذا الموضوع وجعله يشمل مختلف مظاهر الصوت. وسيرى هذا العمل الدور لاحقاً.

## 0 تمهيد

نسعى ، في هذا المبحث إلى تقديم تصور عن بناء النظرية الصوتية عند العرب . وهو تصور نريده شاملاً غير تجزيئي على نقيض تلك التصورات التي سادت وقدمت للقارئ العربي معرفة غير دقيقة ولا علمية عن مساهمة العرب في بناء النظرية الصوتية الخاصة والعامية. ونذكر في هذا الباب تلك الدراسات التي أنجزها مستشرقون<sup>(1)</sup>. والتي اقتصرنا على تقديم ما أتى به النحاة . أما دراسات العرب المحدثين فقد قدمت بدورها صورة لا ترقى إلى الواقع المعرفي الغني الذي عرفه العرب القدماء .

وقد أفضى بنا هذا المسعى إلى عرض مختلف مصادر الدراسة الصوتية وأسباب تعددها بما يعنيه ذلك من كشف عن مختلف الأنساق الفكرية والمعرفية التي تولدت عنها هذه الدراسة . كما أفضى بنا ذلك إلى عرض لبعض المفاهيم التي تبلورت داخل تلك الأنساق سعياً منا إلى أمرين اثنين : أولهما بسط موضوعي تاريخي للإنتاج المعرفي ؛ وثانيهما جعل هذا الإنتاج المعرفي القديم متناغماً مع المعرفة الصوتية الحديثة .

لقد بات من المعروف أن اللسانيات حينما تأسست ، كعلم

مستقل ، بل ولكي تتأسس ، كان روادها الأوائل قد دعوا إلى ضرورة فرز العنصر الموحد والمصنف للظاهرة اللغوية لأنها ككل متنافرة وغير قابلة للتناول من قبل علم واحد . بل إنما توزع على عدة علوم . لذا دعا سوسير<sup>(2)</sup> إلى فرز اللسان وتحديد موضوعاً لللسانيات في حين اعتبر الكلام ثانوياً ومتعددًا بتعدد الأفراد ، ولهذا السبب أبعده من مجال اللسانيات . وفي هذا التحديد تأسس لاستقلالية الموضوع واستقلالية المنهج . ويضم هذا التأسيس وهذا التحديد انتقاداً " للعلم " الذي تأسس حول الوقائع اللغوية المتنافرة ، بل للعلوم التي تناول كل منها مظهراً من مظاهر هذه الظاهرة .

ضمن هذا التحديد الجديد والأفق الإبيستيمولوجي الحديث الذي بلوره علماء إبيستيمولوجيا اللسانيات (أذكر على سبيل المثال لا الحصر سيلفان أورو)<sup>(3)</sup> ، سنتناول الأصوات عند العرب القدماء مستحضرين في حدود الإمكان العلوم التي تطرقت إليها محاولين القيام بعمل تركيبى قوامه تنظيم هذا العطاء المعرفي وجعله راهني المفعولية في لسانياتنا العربية الناشئة . وهكذا سنتعرض في القسم (1) للعلوم العربية التي عنت بدراسة الظاهرة الصوتية ؛ لتتناول في القسم (2) صلات الأصوات بعلم الموسيقى والطبيعات والتشريح ، ولنتعرض ، بعد ذلك ، في القسم (3) للتحديد الفيزيائي للصوت . أما في القسم (4) فسننتقل من الصوت العام إلى الصوت الخاص أي الحرف وتحديدده عند العرب القدماء ليتاح لنا إمكان التطرق للحرف ضمن الآلة المصوتة القسم (5). ونعتقد أن العرب لم يفهم أن يعرضوا لما سمي في اللسانيات البنيوية باقتصادية النسق اللغوي

بالمقارنة مع باقي الأنساق (القسم 6). كما نعرض لعلاقة الصوت بالمعنى (القسم 7). ومن شأن ذلك أن يدفعنا إلى معالجة المخارج والصفات وتوظيف ذلك للتمييز بين الحروف (القسم 8). ولأن الأصوات اللغوية عادة ما تنقسم إلى نوعين رئيسيين ، فقد عمدنا إلى تقديم تحديد العرب للصامت والمصوت (القسم 9). وفي القسم (10) نعرض تصور العرب للحرف الأصل والحرف الفرع . ونختتم هذا البحث بملخصاتنا المناسبة .

## 1- العلوم العربية ودراسة الأصوات :

بدءاً ، ينطرح سؤال جوهري مفاده من تناول الظاهرة الصوتية بالدرس ؟ ولأية غاية ؟ وبأية نظرية ؟ سينتهي الدارس إلى أن الظاهرة الصوتية قد تناولها كل من الفيلسوف والبلاغي والناقد وعالم الكلام والنحوي وعالم التجويد كل من زاوية نظره ومن الموقع الذي يخدم فيه العلم الذي يهتم بوضعه أو تأصيله أو الإسهام في توضيح ما غمض منه . وعليه ، فالدرس الصوتي العربي مفتوح على العديد من العلوم وموزع بينها ، الشيء الذي نتج عنه تفتيت للظاهرة الصوتية وإلحاق كل عنصر منها بعلم من العلوم المذكورة أعلاه .

وهكذا سيدرس الفيلسوف والموسيقي الأصوات من وجهة نظر فيزيائية بالدرجة الأولى ، والنحوي من وجهة تأليف هذه الأصوات وبالتالي تأثيرها في بعضها البعض (الإدغام)، وعالم التجويد من وجهة تحقيق نطق سليم وقراءة معيارية للنص القرآني ، والناقد والبلاغي من وجهة تنافر وتلاؤم الحروف المؤلفة ومن ثمة أدوات تحقيق نصوص أدبية ذات جرس موسيقي ، وعالم الكلام من وجهة

نفي أو إثبات ... وقد انتبه القدماء إلى ذلك حينما أشاروا إلى ما يشبه توزيع الأدوار بينهم في معالجة الظاهرة الصوتية . وفي هذا السياق ، قال ابن سنان الخفاجي : " وذلك أن المتكلمين وإن صنفوا في الأصوات وأحكامها وحقيقة الكلام ما هو ؟ فلم يبينوا مخارج الحروف ، وانقسام أصنافها ، وأحكام مجهورها ومهموسها ، وشديدها ورخوها ، وأصحاب النحو وإن أحكموا بيان ذلك ، فلم يذكرها ما أوضحه المتكلمون الذي هو الأصل والأس ، وأهل نقد الكلام (= علماء البلاغة) فلم يتعرضوا لشيء من جميع ذلك ، وإن كان كلامهم كالفرع عليه "(4).

وقد فرضت زوايا النظر المختلفة هاته ، بالتأكيد ، مقاربات مختلفة أي مناهج مختلفة إلا أن زوايا النظر هذه ، وإن كانت تختلف من حيث الغاية والمنهج ، فهي تتقاطع وتتكامل ، والعطاءات المعرفية التي بلورتها يمكن تصنيفها إلى ما يلي :

1 دراسة صوتية محضة (فونيتيكية) تدرس الصوت في ماديته وتحققه وتنقسم إلى قسمين : دراسة فيزيائية للصوت Acoustique ؛ ودراسة نطقية أو هجائية له Articulaire .

2 دراسة للأصوات اللسانية في وظائفها التمييزية أي دور هاته الأصوات في حمل المعنى وتبليغه ، وإذن الوقوف على الطبيعة الإختلافية للأصوات اللسانية .

## 2 الأصوات وصلتها ببعض العلوم :

لم يفست بعض العرب التنبيه على العلاقة الوثيقة بين علم

الأصوات والعلوم الطبيعية . فإذا كان فخر الدين الرازي قد علق "مباحث الأصوات والحروف" بـ "الوقوف على علم التشريح" إذ يقول: "لا تتم دلالتها إلا عند الوقوف على علم التشريح"<sup>(5)</sup>، فإن طاش كبري زاده يقول: ".. ويستمد من العلم الطبيعي وعلم التشريح"<sup>(6)</sup>. بينما يرى ابن جني أن علم الأصوات والحروف "له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم"<sup>(7)</sup>.

وهكذا يبدو جلياً استحالة إيجاد علم الأصوات دون الاعتماد على علم التشريح والعلم الطبيعي (= الطبيعيات) بل على بعض المبادئ الهندسية والعددية . يقول في ذلك الفارابي متحدثاً عن صناعة الموسيقى: "ولما كان طريق التحليل يستعمل في تقديم الأقدم ... ، وكان أقدم ما تشتمل عليه هذه الصناعة ... هي المبادئ المأخوذة من العلم الطبيعي ، ثم بعض المبادئ الهندسية ، ثم العددية"<sup>(8)</sup>. ولاشك أن ذلك إشارة إلى الأبعاد الفيزيولوجية والفيزيائية والموسيقية للغة .

### 3 الصوت وتحديد الفيزيائي :

لم يغفل العرب الحديث عن الصوت ، بل حددوا طبيعته الفيزيائية . وقد تناوله بالدرس كل من الفيلسوف والموسيقي وعالم الكلام والبلاغي والناقد والنحوي وعالم التجويد . إلا أن الذي فصل فيه القول من كل هؤلاء هو الفيلسوف و/ أو الموسيقي .

فابن سينا يرى أن الصوت يحدث عن قلع أو قرع<sup>(9)</sup>، وأنه

تكون مع كل قرع أو قلع حركة للهواء أو ما يجري مجراه إما قليلاً قليلاً أو برفق ، وإما دفعة على سبيل تموج أو انجذاب بقوة<sup>(10)</sup> ، وإذن فلكي يحدث الصوت لابد من حركة قوية من الهواء<sup>(11)</sup> . هذا التحديد يجعل ابن سينا يعتبر القرع والقلع سببي الصوت والتموج فاعلاً للصوت<sup>(12)</sup> ، ويخلص من ذلك إلى اعتبار الصوت " عارضاً يعرض من هذه الحركة الموصوفة يتبعها ويكون معها فإذا انتهى التموج من الهواء.. إلى الصماخ .. أحس بالصوت "<sup>(13)</sup> . أما إخوان الصفاء فيعتبرون أن لكل صوت نغمة وصفية وهيئة روحانية خلاف صوت آخر ، وأن الهواء من شرف جوهره ولطافة عنصره يحمل كل صوته بهيئته وصفته ويحفظها لئلا يختلط بعضها ببعض ، فيفسد هيئتها، إلى أن يبلغها إلى أقصى مدى غاياتها عند القوة السامعة<sup>(14)</sup> . أما عن كيفية حدوث أنواع الأصوات فيقولون : " إن كل جسمين تصادما برفق ولين لا تسمع لهما صوتاً ، لأن الهواء ينسل من بينهما قليلاً قليلاً فلا يحدث صوتاً ، وإنما يحدث الصوت من تصادم الأجسام ، متى كان صدمها بشدة وسرعة ، لأن الهواء عند ذلك يندفع مفاجأة ، ويتموج بحرركته إلى الجهات الست بسرعة، فيحدث الصوت<sup>(15)</sup> . ويقولون أيضاً في الجزء الثالث من رسائلهم : " والصوت قرع يحدث من الهواء إذا صدمت الأجسام بعضها بعضاً، فتحدث بين ذينك الجسمين حركة عرضية تسمى صوتاً "<sup>(16)</sup> . واضح أن حدوث الصوت يستوجب حركتين بين جسم قارع وجسم مقروع، وقوة دافعة وجسماً مقروعاً صلباً ومقاوماً وتموجاً للهواء .

هذا التحديد الفيزيائي للصوت والذي استفاض فيه الفلاسفة

والموسيقيون كثفه البلاغي والنحوي لأهما لم يهتما به إلا كمشكل للحرف . يقول في ذلك ابن جني : " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً " (17) ، فيما يرى ابن سنان الخفاجي أن الصوت يخرج مستطيلاً ساذجاً " (18) .

#### 4 من الأصوات غير الدالة إلى الأصوات الدالة (تحديد الحرف)

ويبدو أن للأصوات وظيفة سيميولوجية . وهذه الوظيفة هي التي تجعل الإنسان يميز بين النفس والصوت والحرف . فالأصوات ، حسب إخوان الصفاء ، صنفان : حيوانية وغير حيوانية ، وغير الحيوانية أيضاً نوعان : طبيعية وآلية ، فالطبيعية هي كصوت الحجر والحديد والخشب والرعد والآلية كصوت الطبل والبوق والأوتار . والحيوانية نوعان : منطقية وغير منطقية ، فغير المنطقية هي أصوات سائر الحيوانات الغير (غير) الناطقة ، وأما المنطقية فهي أصوات الناس ، وهي نوعان : دالة وغير دالة . فغير الدالة كالضحك والبكاء والصياح ، وبالجملة كل صوت لا هجاء له ؛ وأما الدالة فهي الكلام والأقاويل التي لها هجاء (19) .

وبناء على هذا التصنيف ، فإن الصوت ، كما يقول ابن سنان الخفاجي ، " عام ولا يختص " (20) . وإذا كان عاماً ولا يختص ، فالحرف هو الصوت اللغوي . فكيف ذلك ؟ عرف ابن سينا الحرف باعتباره هيئة تعرض للصوت (21) ، ومعنى الكيفية هنا ، في رأي السهائلي ، الهيئة الوضعية (22) . إن الصوت عبارة عن سلسلة من



الذبذبات الهوائية المترابطة الحلقات ، والحرف إيقاف لهذا الصوت وقطع له . إنه عارض للصوت عروض الآن للزمان والنقطة للخط<sup>(23)</sup> . لذلك يقول ابن جني : " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطياً متصلاً ، حتى يعرض له في الحلق والشفة مقاطع تشبه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً "<sup>(24)</sup> ، ويقول أيضاً : " وذلك أن الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطره كحرف الجبل ونحوه "<sup>(25)</sup> . فالحرف إذاً هو ما يعرض للصوت فينقطع استمراره واتصاله وامتداده واستطالته . وما يعرض للصوت هو عضو من أعضاء النطق كالحلق واللسان والشفة التي تشكل حواجز وعوارض توقف زمن الهواء وتقطع منه الآن . والقطع (أو التقطيع) لا يحدث إلا بحركة ما من أعضاء النطق في موضع ما (أي نقطة قطع ما) أي مقطعاً . لذلك عرف القراء الحرف باعتباره صوتاً معتمداً على مقطع محقق وهو أن يكون اعتماده على جزء معين من أجزاء الحلق واللسان والشفة<sup>(26)</sup> . والمقطع هنا هو المخرج وهو عبارة عن الحيز المولد للحرف أو موضع ظهور الحرف وتمييزه عن غيره<sup>(27)</sup> . إن المخرج هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده<sup>(28)</sup> . إذ حيث ينقطع صوت الحرف يكون ذاك هو مخرجه . ولأن الحروف أصوات فلا بد لتحقيقها من جسمين يتموج الهواء بتصادمهما<sup>(29)</sup> .

## 5 الحرف والآلة المصوتة

وإذا كانت التصويطات ناتجة عن القرع ، فإن الأعضاء المقروعة بهواء النفس هي أعضاء النطق الرئيسية الثلاثة : الحلق والشفة واللسان . " والقارع أولاً هي القوة التي تسرب هواء النفس

من الرئة وتجويف الحلق أولاً فأولاً إلى طرف الحلق الذي يلي الفم والأنف وإلى ما بين الشفتين ، ثم اللسان يتلقى ذلك الهواء فيضغطه إلى جزء من أجزاء باطن الفم وإلى جزء جزء من أجزاء أصول الأسنان وإلى الأسنان ، فيقرع به ذلك الجزء فيحدث من كل جزء يضغطه اللسان عليه ويقرعه به تصويت محدود وينقله اللسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاء أصل الفم فتحدث تصويبات متوالية كثيرة محدودة " (30) . بمثل هذه الطريقة يتم إحداث الصوت اللغوي الذي تعمل مختلف الأوضاع التي تتخذها الآلة المصوتة على تشكيله متميزاً مختلفاً ، إلا أن هذا الاختلاف والتمييز محدودان .

## 6 اقتصادية اللغة

إن الحروف علامات ، ولأنها كذلك " كانت محدودة العدد " و" لم تف بالدلالة على جميع ما يتفق أن يكون في ضمائرهم " لذلك اضطروا إلى تركيب بعضها إلى بعض بموالاتة حرف حرف ، فتحصل في ألفاظ من حرفين أو حروف ، فيستعملونها علامات أيضاً لأشياء آخر " (31) . بمثل هذا الفهم يعد النسق اللغوي ، عند العرب القدماء ، النسق الأكثر اقتصادية وكلفة ومردودية وفعالية من بين كل الأنساق السيميائية الأخرى ، وربما كان النسق الأكثر ضبطاً من غيره .

## 7 الصوت والمعنى

وإذن فأصل أصوات الإنسان " في الرئة هواء يصعد إلى أن يصير إلى الحلق ، فيديره اللسان على حسب مخارجه . فإن خرج على حروف مقطعة مؤلفة عرف معناه وعرف خبره . وإن خرج على غير

حروف لم يفهم<sup>(32)</sup>. وماهية صوت الإنسان أنه غرض مفهوم دال على معنى<sup>(33)</sup>. معنى ذلك أن الصوت اللساني (اللغوي) الذي هو الحرف ، بخلاف الأصوات الأخرى ، مرتبط بالمعنى إذ به يعرف المعنى ويعرف الخبر ، إذ بواسطته تنقل المعارف والأفكار والتجارب ، ولذلك فوظيفته معنوية ودلالية ، وبه تتكون الكلمات أو لنقل ، مع إخوان الصفاء " بأن الكلام هو صوت بحروف مقطعة دالة على معان مفهومة من مخارج مختلفة "<sup>(34)</sup>. بذلك يحق لنا القول بأن الحرف (الصوت اللغوي) يوظف للدلالة على غيرية تتمثل في المعاني .

## 8 المخارج والصفات والتمييز بين الحروف

وإذن ، فالكلام لا يتحقق إلا بالحروف المختلفة المخارج ذلك أن لكل حرف أو مجموعة حروف مخرجاً مخالفاً لمخرج الآخر أو لمخارج الحروف الأخرى . فبعض الحروف تتميز عن البعض الآخر بالمخارج المختلفة . إلا أن التمييز بين الحروف في الحقيقة " حاصل باعتبار اختلاف الصفات وإن كان الاتحاد باعتبار الذوات "<sup>(35)</sup>. لكن ما معنى الصفة ؟ " الصفة ما قام بالشيء من المعاني كالعلم والسواد والمراد بها ههنا عوارض تعرض للأصوات الواقعة في الحروف من الجهر والرخاوة والهمس والشدة وأمثال ذلك "<sup>(36)</sup>. وإذا كان المخرج للحرف كالميزان تعرف به ماهيته وكميته ، وإذا كانت الصفة كالحك والناقد تعرف بها هيئة الحرف وكيفيته ، فبالصفة تتميز بعض الحروف المشتركة في المخرج عن بعضها حال تأديته ولولا ذلك لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج

واحد وصفة واحدة فلا يفهم منها المرام<sup>(37)</sup>. إن الصفات إذاً كصفات  
تعرض للحروف من إجراء النفس ونحوه ، وهذه الصفات فائدتان  
حسب الشيخ محمد بن علي بن يالوشة التونسي : الأولى تمييز  
الحروف المشتركة في المخرج إذ لولاها لكانت الحروف المشتركة  
حرفاً واحداً ، والثانية تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج<sup>(38)</sup>.

وبذلك فالحروف تتميز عن بعضها البعض باختلاف مقاطعها.  
يقول ابن جني في ذلك : " وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف  
مقاطعها ألا ترى أنك تبتدىء الحرف من أقصى حلقك ، ثم تبلغ  
به أي المقاطع شئت ، فتجد له جرساً ما ، فإن انتقلت عنه راجعاً منه  
أو متجاوزاً له ، ثم قطعت أحسست عند ذلك صدىً غير الصدى  
الأول"<sup>(39)</sup> ويقول أيضاً : " فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق  
والفم ، باعتماد على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه  
الأصوات المختلفة"<sup>(40)</sup>. كما أن الحروف تتميز عن بعضها البعض في  
الصفات فـ " الطاء مثلاً لولا الاستعلاء والإطباق والجهر التي فيه  
لكان تاءً لاتفاقهما في المخرج"<sup>(41)</sup>، بل إنك إذا همست وجهرت  
وأطبقت وفتحت اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد  
(المازني)، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً ولصارت الطاء ذالاً  
ولصارت الصاد سيناً (الرماني وغيره).

وتنقسم هذه الصفات إلى قسمين : حق الحرف ومستحق  
الحرف . يقول ابن الجزري عن التجويد :

وهو إعطاء الحروف حقها من صفة لها ومستحقها

" وحق الحرف هو صفته اللازمة له من همس وجره وشدة

ورخاوة وغير ذلك ومستحقه ما ينشأ عن هذه الصفات كترقيق المستفل وتفخيم المستعلي ويدخل في الثاني ما ينشأ من اجتماع بعض الحروف إلى بعض مما حكموا عليه بالإظهار والإدغام والإخفاء والقلب والغنة والمد والقصر وأمثال ذلك<sup>(42)</sup>. وهكذا فالحق صفة اللزوم والمستحق صفة العروض . والمستحق إما صفة ناشئة عن صفة لازمة أو صفة يستوجبها سياق صوتي محدد .

وبما أن المراد من الكلام هو الإبلاغ والتواصل ، فإن المقصود من الاختلاف والتمييز في المخارج والصفات هو التمييز في المسموع . ومعنى التمييز في المسموع " ليس أن يكون ما به التمييز مسموعاً بل أن يحصل به التمييز في نفس المسموع بأن يختلف باختلافه ويتحد باتحاده "<sup>(43)</sup>.

كما أشار القدماء إلى أن الأصوات تدرك مختلفة ، وأن فيها المتماثل المختلف ، وأن المختلف منها متضاد<sup>(44)</sup> ، وأن عدداً من صفاتها ثنائي ، وهذه الثنائية ثنائية ضدية .

## 9 تحديد الصامت والمصوت

وتنقسم الحروف إلى قسمين صامته ومصوتة " فالمصوتة حروف المد واللين أي حروف العلة الساكنة التي حركة ما قبلها مجانسة لها . والصامته ما سواها سواء كانت متحركة أو ساكنة ولكن ليس حركة ما قبلها من جنسها "<sup>(45)</sup>. وفي شرح ذلك وتدقيقه يقول ابن سينا بأن الحروف الصامته ناتجة عن " حبسات تامة للصوت أو للهواء الفاعل للصوت تتبعها إطلاقات دفعة " ذلك أن زمان الحبس

التمام لا يمكن أن يُحسَّ فيه بصوت حادث عن الهواء وهو مستكن بالحس " (46) لذلك سماها ابن سينا بـ " التي لا تقبل المدّ البتة " (47) .  
أما المصوتات فهي من " الهيئات العارضة للصوت " (48) ، وتتميز بقبالية التمديد (49) ، أي أنّها " توجد في النفس والهواء الذي يخترق الفم دون نفس اللسان واللهاة وإن كان لهما تأثير في تقطيعه " (50) .  
وإذا كانت الحركات أبعاض حروف المد واللين عند ابن جني ، فإنها عند فخر الدين الرازي " أبعاض المصوتات " (51) ذلك أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف .  
وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة ، والياء المصوتة إلى الكسرة كما يقول ابن سينا (52) .

وإذن فالصامت هو الحرف الساكن (أي : المستكن بالحس) المتوقف الصوت الحامل له أو المشكل له بسبب حاجز من الحواجز ، والمصوت هو الحركة الطويلة المرافقة للصوت . ولذلك اعتبرت المصوتات زمانية عارضة للصوت باقية معه زماناً بلا شبهة (53) بينما اعتبرت الصوامت آنية لأنها اعترضت الصوت وقطعته وأوقفت امتداده . لذا سميت الأولى حروف المد لأنها ممتدة ومستطيلة كما هو الشأن بالنسبة للصوت .

## 10- الحرف الأصل والحرف الفرع

وحروف العربية حروف أصول وحروف فروع . وسميت الحروف الفروع كذلك " لأنّ الحروف التي ذكرناها لا غيرهن

ولكن أزلن عن معتمدهن فتغيرت جروسهن <sup>(54)</sup> ومعنى ذلك أن الحروف الفروع هي الحروف الأصول محققة تحقيقات مختلفة أي أنها أخرجت من مخارج أخرى لا غير . فوظيفتها ، إذن ، تبقى هي هي ، وقيمتها تبقى هي هي حتى وإن اختلفت نطقاً وإنجازاً لأنها " تكون ممتزجة بالأصلية " <sup>(55)</sup> أي أن صفات الحروف الفرعية ليست تمييزية من حيث الوظيفة والدور الدلالي المنوط بها . لذا يمكن القول مع إخوان الصفاء بأن الحروف اللفظية (التي هي أصوات محمولة في الهواء مدركة بطريق الأذنين بالقوة السامعة) وضعت سمات ليستدل بها على الحروف الفكرية (وهي صورة روحانية من أفكار النفوس مصورة في جواهرها قبل إخراجها معانيها بالألفاظ)، والحروف الفكرية هي الأصل <sup>(56)</sup> . أو كما قال الفارابي في كتاب الحروف : "وكما أن في المعاني معاني تبقى واحدة بعينها تتبدل عليها أعراض تتعاقب عليها ، فكذلك تجعل في الألفاظ حروف راتبة وحروف كأنها أعراض متبدلة على لفظ واحد بعينه ، كل حرف يتبدل لغرض يتبدل <sup>(57)</sup>"

### خاتمة :

هذه بعض خلاصات هذا البحث الذي ينتظر الإكمال ومعاودة النظر في التراث الصوتي عند العرب في ضوء اللسانيات الحديثة نجملها فيما يلي :

\* كل أمة تفتدي إلى الجوهرية : وصف الأصوات وصفاً تمايزياً على مستوى الإنتاج الفيزيائي والنطقي وعلى مستوى الإدراك

مدخل إلى الدراسة الصوتية عند العرب القدماء

- السمعي، وهو وصف يقوم على الملاحظة والتجريب والحدس .  
وهذه كلها أمور لا يجانبها البحث العلمي .
- \* مست الدراسة الصوتية القديمة مختلف مظاهر الصوت من منطلقات متنوعة ولغايات مختلفة وبمناهج متباينة .
- \* التمييز بين النَّفس والصوت والحرف ، والتمييز بين الحروف الأصول والحروف الفروع .
- \* لم تغفل الدراسة القديمة اعتبار الصوت عماداً وظيفياً للمعنى .
- \* الحديث عن اقتصادية اللغة بالنظر إلى كل الأنساق السيميائية الأخرى .

## الهوامش

- 1) انظر كاتينو(1960) وهنري فليش (1949 1950) .
- 2) Cours de Linguistique Gnrale. P. 25 27.
- 3) انظر : Sylvain Auroux (1979 ، 1976 ، 1994) .
- 4) سر الفصاحة . ص 15 .
- 5) التفسير الكبير . ج 1 ، ص 11 .
- 6) مفتاح السعادة . ج 1 ، ص 100 .
- 7) سر صناعة الإعراب . ج 1 ، ص 9 .
- 8) كتاب الموسيقى الكبير . ص 211 .
- 19) كتاب النفس . ص 70 .
- 10) نفسه . ص 71 .
- 11) نفسه . نفس الصفحة .



- 12) نفسه . نفس الصفحة .
- 13) نفسه . ص 81 .
- 14) الرسائل . ج 1 ص 189 .
- 15) نفسه . ص 189 190 .
- 16) الرسائل . ج 4 ص 95 .
- 17) سر صناعة الإعراب . ج 1 ص 6 .
- 18) سر الفصاحة ، ص 15 .
- 19) الرسائل ، ج 1 ص 188 189 .
- 20) سر الفصاحة . ص 6 .
- 21) أسباب حدوث الحروف . ص 60 .
- 22) كشف اصطلاحات الفنون . ج 2 ص 644 .
- 23) فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب . ص 29 30 ج 1 .
- 24) سر صناعة الإعراب . ج 1 ص 6 .
- 25) نفسه . ص 14 .
- 26) كشف اصطلاحات الفنون . ج 2 ص 643 .
- 27) ملا علي بن سلطان القاري . المنح الفكرية . ص 9 .
- 28) ابن يعيش . شرح المفصل . ج 9 10 . ص 123 .
- 29) ابن يالوشة . الفوائد المفهمة . ص 10 .
- 30) الفارابي . كتاب الحروف ، ص 136 .
- 31) نفسه . ص 137 .
- 32) الرسائل . ج 3 ص 114 .
- 33) الرسائل . ج 3 ص 130 .
- 34) الرسائل . ج 3 ص 112 .
- 35) ملا سلطان القاري . المنح الفكرية . ص 10 .
- 36) نفسه . ص 15 .

- (37) نفسه . نفس الصفحة .
- (38) الفوائد المفهمة . ص 13 14 .
- (39) سر صناعة الإعراب . ج 1 ص 6 .
- (40) نفسه . ص 9 .
- (41) ابن يالوشة . الفوائد المفهمة ، ص 14 .
- (42) ملا سلطان . المنح الفكرية . ص 21 .
- (43) كشف اصطلاحات الفنون . ج 2 ص 644 .
- (44) انظر سر الفصاحة ص 18 19 وانظر ابن يالوشة ص 17 .
- (45) كشف اصطلاحات الفنون . ج 2 . ص 646 .
- (46) أسباب حدوث الحروف . ص 5 .
- (47) الشعر . ص 41 .
- (48) مفاتيح الغيب . ج 1 ص 29 .
- (49) نفس المرجع . ص 46 .
- (50) المغني لعبدالجبار . ج 7 ص 46 .
- (51) مفاتيح الغيب . ج 1 . ص 30 .
- (52) أسباب حدوث الحروف . ص 85 .
- (53) انظر فخر الدين الرازي . مفاتيح الغيب . ص 54 .
- (54) ابن يعيش . شرح المفصل . ج 10 ص 126 .
- (55) ملا سلطان . المنح الفكرية . ص 10 .
- (56) الرسائل . ج 1 ص 393 .
- (57) كتاب الحروف . ص 140 .

## المراجع والمصادر

### \* باللغة العربية :

- ابن سنان الخفاجي ، الأمير أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد (1994). سر الفصاحة. تحقيق علي فودة . مكتبة الخانجي . القاهرة . الطبعة الثانية .
- ابن جني ، أبو الفتح عثمان (1985) سر صناعة الإعراب . دراسة وتحقيق الدكتور حسن هنداي . ج1 . دار القلم . دمشق . سوريا . الطبعة الأولى .
- ابن سينا ، الشيخ الرئيس أبو بكر علي الحسين بن عبدالله (1975) الشفاء . الطبيعيات . 2 . السنفس . تصدير ومراجعة د. إبراهيم مذكور بتحقيق الأب د. جورج فتواي وسعيد زايد . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة .
- ابن سينا ، الشيخ الرئيس أبو بكر علي الحسين بن عبدالله (1983) أسباب حدوث الحروف . تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . الطبعة الأولى .
- ابن سينا ، الشيخ الرئيس أبو بكر علي الحسين بن عبدالله (1966) الشفاء . المنطق . 9 . الشعر . الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة . مصر .
- ابن يالوشة ، محمد بن علي (د.ت). الفوائد المفهومة في شرح الجزرية المقدمة . لا ذكر للناسر ولا لمكان النشر .
- ابن يعيش ، موفق الدين بن علي بن يعيش (د.ت) شرح المفصل . ج10 . دار صادر .
- إخوان الصفا (1995) رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء . ج3 . إعداد وتحقيق الدكتور عارف تامر . منشورات عويدات . بيروت . باريس . الطبعة الأولى .
- السهاتوني ، عسلي بن محمد (1996) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم . ج . 2 . تقديم وإشراف مراجعة رفيع العجم . تحقيق علي دحروج . مكتبة لبنان . بيروت .
- السرازي ، محمد الرازي فخر الدين (1993). التفسير الكبير ومفاتيح الغيب . المجلد 1 . قدم له فضيلة الشيخ خليل محيي الدين الميس . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان .
- زادة ، أحمد بن مصطفى طاش كبري (1985). مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى .
- عبد الجبار ، القاضي أبو الحسن (1961) . المعنى في أبواب التوحيد والعدل . ج7 . خلق القرآن . قوم نصه إبراهيم الأبياري . الطبعة الأولى . مطبعة دار الكتب . سلسلة تراثنا .
- الفارابي ، أبو نصر (1967) كتاب الموسيقى الكبير . تحقيق غطاس عبدالمملك خشبة . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة . سلسلة تراثنا . مصر .

مدخل إلى الدراسة الصوتية عند العرب القدماء

- الفارابي ، أبو نصر (1970) كتاب الحروف . حققه وقدم له وعلق عليه محسن مهدي . دار  
المشرق . بيروت . لبنان .
- الفارابي ، ملا علي بن سلطان محمد (1984). المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية . شركة مكتبة  
ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر .

\* باللغات الأجنبية :

- Auroux, Sylvain (1979) *La Smiotique des Encyclopedistes*. Payot. Paris.
- Auroux Sylvain (1986). *Histoire des Sciences et Entropies Des  
Systmes Scientifiques*. In : *Archives et Documents de la Soci*  
. No 7.
- Auroux, Sylvain (1994). *La Rvolution Technologique de la  
Grammatisation* Margada. Belgique.
- Cantineau, Jean (1960) *Cours de Phontique Arabe*. Klincksieck. Paris.
- Fleish, Henri (1949 1950). *Etude de Phontique Arabe*. In: *Mlanges  
de Universit saint Joseph*. Tome 28. Beyrouth. Liban.
- Saussure, F. De (1976. *Cours de Linguistique G* . Payot. Paris.

